

تاريخ العلاقات السعودية اليمنية

تأليف : دكتورة فتوح عبد المحسن الخترش

الناشر : (منشورات ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٣)

مراجعة : د. عبد الرحمن مصطفى

يتناول البحث اوضاع غربي شبه الجزيرة العربية في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وهي اوضاع غير مستقرة نتيجة لطموح كل من الامام يحيى حميد الدين حاكم اليمن وعبد العزيز آل سعود سلطان نجد الى توسيع رقعة ملكه . وقد استطاع الحاكم السعودي ان يقضي على حكم الاشراف في الحجاز ، ثم عمد الى استغلال اضطراب احوال اماره عسير نتيجة للنزاع الداخلي الذي نشب بين افراد اسرة الادريسي لكي يوسع دائرة نفوذه جنوبا ، في الوقت الذي طمح فيه الامام يحيى الى استغلال نفس الظروف لكي يضم عسيرا الى املاكه . وحينئذ لم يكن ثمة مناص من حدوث اصطدام بين العاهلين العربيين ، فنشبت بينهما الحرب في عام ١٩٣٤ ، وهي الحرب التي خرج فيها ابن سعود منتصرا ، مما أدى الى ضم عسير نهائيا الى املاكه .

وقد استعرضت المؤلفة كل هذه التطورات متبعة في بحثها اصول مناهج البحث التاريخي من حيث الضبط والتحقيق والتحليل ، ووصلت الى حقائق جديدة ترتبط بموقف كل من ايطاليا وبريطانيا من الصراع الدائر في غربي شبه الجزيرة . ذلك ان ايطاليا التي خرجت من الحرب العالمية الاولى ، وقد عمها السخط لان حلفاءها المنتصرين لم يعيروا التفاتا لاطماعها التوسعية ، عمدت الى تحقيق احلام امبراطورية في شمال شرقي افريقيا ، خاصة وان الدكتاتور الفاشستي بنيتو موسوليني أعلن ان البحر المتوسط بحر ايطالي ، ودغدغ احلام شعبه بالعودة الى امجاد الامبراطورية الرومانية القديمة . وهكذا نجده يسعى الى ان يلعب دورا ايجابيا في سياسات شرقي افريقيا بالانطلاق من اريتريا ومنطقة الصومال الايطالي على أمل ان يلتهم المناطق الممتدة بين مناطق الاستعمار الايطالي في ليبيا وشرقي افريقيا . وكان من نتيجة ذلك ، الغزو الايطالي للحبشة في عام ١٩٣٥ ومحاويلته دعم النفوذ الايطالي في مصر ، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تهدأ حرسا منها على حماية مواصلاتها الامبراطورية في البحرين المتوسط والاحمر ، والحيلولة

دون حدوث تلاحم بين النظام الفاشي في إيطاليا وقرينه الألماني الذي وصل الى الحكم في عام ١٩٣٣ .

أما بريطانيا التي كانت قد خرجت من الحرب العالمية الأولى بنفوذ عريض في الوطن العربي بعد أن ضمت الى أملاكها العراق وفلسطين وشرق الأردن في الوقت الذي كانت تسيطر فيه على مصر والسودان وعدن والجنوب العربي والخليج ، فقد كانت حساسة لكل ما يمس مواصلاتها الامبراطورية نحو الهند ، وبالتالي كانت حريصة على مراقبة الاطماع الإيطالية بعين الحذر ، وبخاصة بعد أن توثقت صلات إيطاليا بالامام يحيى حميد الدين الذي كان قد استغل انهيار الامبراطورية العثمانية ليستقل باليمن . ورغم توتر العلاقات بين بريطانيا والامام يحيى الطامح الى ضم المستعمرات البريطانية في الجنوب العربي ، فان بريطانيا كانت وثيقة الصلات بأطراف عربية أخرى في شبه الجزيرة ، وبخاصة عبد العزيز آل سعود الذي ضم الحجاز وطرد منها الاشراف حلفاء بريطانيا السابقين ضد الحكم العثماني ، والادارة حكام عسير . ومع ذلك فقد عمدت بريطانيا الى عدم التدخل المباشر في النزاعات التي بدأت تحدث في شبه الجزيرة العربية ، في الوقت الذي كانت تراقب فيه هذه النزاعات باهتمام ، وتحرص على عدم استغلال إيطاليا لها في مد نفوذها الى الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر . ونتيجة لكل ذلك فقد حسمت هذه النزاعات نتيجة لامكانيات القوى المحلية في المنطقة وخرج منها عبد العزيز آل سعود وقد شكل مملكة مترامية الأطراف تمتد في معظم شبه الجزيرة العربية .

وقد قسمت المؤلفه بحثها الى تمهيد وخمسة فصول :

في **التمهيد** العام عرضت للأوضاع السياسية والتاريخية في شبه الجزيرة العربية وللظروف الدولية المحيطة بها ، فأوجزت القول عن إمارة عسير عند قيامها في عام ١٩٠٢ حتى وفاة مؤسسها محمد الأديسي في عام ١٩٢٣ ، وعن انبثاقها منذ أن تولى حكمها الامام يحيى في عام ١٩٠٤ ، ولحلت الى صعود نجم عبد العزيز آل سعود منذ استيلائه على الرياض في عام ١٩٠٢ .

أما الفصل الأول وعنوانه (الأوضاع السياسية لعسير من ١٩٢٣ الى ١٩٣٢)

فقد عرضت فيه للتطورات التي أحاطت بامارة عسير خلال عشرينات القرن العشرين وأوائل الثلاثينات . فقد نشبت النزاعات داخل اسرة الأديسي الحاكمة وهي النزاعات التي حاول الامام يحيى استغلالها لضم المناطق المجاورة لأملاكه وبخاصة ميناء الحديدة . وبعد توغل قوات الامام يحيى في عسير واحتلالها لميناء الحديدة طالب الأديسي حاكم عسير بمساعدة الحليفة بريطانيا التي لم تشأ التدخل في النزاع الذي اعتبرته مسألة داخلية ، ولذلك ولى وجهه شطر ابن سعود الذي استطاع — بمقتضى اتفاقية مكة المعقودة في عام ١٩٢٦ — فرض سيطرته على ما تبقى من إمارة عسير التي ظلت تحت حكم الأديسي وان حرمت من الاشراف

على الشؤون الخارجية وعلى شؤون البدو . وهكذا أصبح عبد العزيز آل سعود والامام يحيى يقفان وجها لوجه ، بحيث بات من المحتمل ان ينشب بينهما الصراع بسبب عسير .

وقد ساعدت التطورات الداخلية في عسير على اسراع خطى هذا الصراع . ذلك ان الادريسي بدا يتحمل من القيود التي فرضتها عليه معاهدة جدة ويستكشف عن معاملة عامل ابن سعود على عسير له . وقد ازدادت مخاوفه حين اعلنت وحدة الحجاز ونجد وملحقاتها تحت اسم المملكة العربية السعودية (١٩٣٢) وخشي ان تفقد عسير استقلالها الذاتي وتتحول الى مجرد ولاية شأنها في ذلك شأن الحجاز ونجد وحائل . بعد ان شجع خصما ابن سعود — الامام يحيى وعبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن — روح التمرد في عسير بدا رجال الادريسي يهاجمون الحامية السعودية في ميناء جيزان الذي دخله الادريسي وقبض على العامل السعودي وعلى الموظفين السعوديين وزج بهم في السجن . ثم تحركت القوات السعودية واستعادت جيزان وطاردت الادريسي الذي طلب اللجوء السياسي من الامام يحيى الذي اجابه الى طلبه هو ومن معه . وكان رد ابن سعود على ذلك هو اعلانه ضم امانة عسير الى المملكة العربية السعودية ومطالبته الامام بتسليم الادريسي . ثم تلت ذلك مفاوضات بين الجانبين السعودي واليميني بعد ان رفض الامام يحيى تسليم الادريسي ورجاله ، وانتهت باعلان عبدالعزيز آل سعود عفوه الشامل عن الادريسي وانصاره ، وان يكن الادريسي قد طالب باسترجاع حكمه للأمانة وحقوقه كاملة كما كانت عليه قبل اعلان الحماية السعودية . وبقي الادريسي داخل املاك الامام شريطة ان يقدم هذا الأخير ضمانا لحسن سلوك الادريسي وعدم قيامه هو واتباعه باثارة الفتن ضد الحكومة السعودية في مقابل ان يتلقى هو ورجاله مرتبا شهريا من ابن سعود . وحينئذ وجد الامام يحيى في بقاء الادريسي ورجاله تحت سيطرته اداة للضغط على ابن سعود وتحقيق مطامعه في عسير ونجران .

وفي الفصلين الثاني والثالث تناولت المؤلفة تطور النزاع السعودي اليمني

حول عسير فيما بين عامي ١٩٢٦ — ١٩٣٤ . فقد كان من الطبيعي ان تتوتر العلاقات السعودية — اليمنية بعد ان اصبحت املاك الدولتين متجاورة ، خاصة وانه لم يتم التوصل بينهما الى اتفاق نهائي حول رسم الحدود . وقد سعى ابن سعود جاهدا الى التوصل مع الامام يحيى الى تسوية نهائية بشأن الحدود وتسليم الادريسي حتى يتفرغ لمشاكله الداخلية ، فاستؤنفت المفاوضات بين الطرفين ، خاصة وان ابن سعود كان متخوفا من قيام السلطات الايطالية في اريتريا بتزويد امام اليمن والادريسي بالاسلحة والذخيرة ، وان بريطانيا امتنعت عن مده بالاسلحة والمعونة المالية . ولم تتمخض المفاوضات السعودية — اليمنية عن شيء في الوقت

الذي شعر فيه الوفد السعودي المفاوض الذي توجه الى اليمن بأنه يتعرض لمضايقات مستمرة وتسويات لا طائل من ورائها ، مما اغضب الملك عبد العزيز . ثم دخلت القوات اليمنية نجران فجأة بحجة اقرار السلام فيها وتعليم أهلها أصول الدين الاسلامي ، واعتبر ابن سعود ذلك اعتداء عليه وتهديدا مباشرا لاملاكه . لهذا ارسل قوة لصد الهجوم اليمني ، وسرعان ما انسحبت القوات اليمنية من نجران . واكد ابن سعود للإمام رغبة قبائل نجران في التطلع الى نجد لا الى اليمن ، وطالبه بالموافقة على حياد هذه المنطقة والتوصل معه الى اتفاقيات دائمة بهذا الشأن ، واستمر تصاعد التوتر الأوضاع على الحدود ورغم استمرار المفاوضات بين الطرفين . وايقن ابن سعود ان الصراع لن تحسمه المفاوضات بل لا بد من حسمه في ميدان القتال .

وفي الفصل الرابع عرضت المؤلفة للتنافس البريطاني - الإيطالي في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر . فمبذ ان أثرت مشكلة عسير وقفت بريطانيا الى جانب ابن سعود ، في حين وقفت إيطاليا الى جانب الإمام يحيى . وهكذا اقرت بريطانيا بالتعديلات التي اجراها ابن سعود في عسير ، في الوقت الذي لم تعترف فيه إيطاليا بضم المنطقة الى املاكه . ولما كانت الدولتان تخشيان ان يؤدي تطور الأوضاع الى سوء العلاقات بينهما فقد أثرتا مناقشة الموقف ، وبالتالي أنعقد بهذا الصدد مؤتمر في روما (١٩٢٧) حددت فيه الظروف انعريضة لسياستهما في منطقة جنوب غربي شبه الجزيرة العربية .

ولولا هذا التفاهم بين الدولتين لربما أدت الحرب السعودية - اليمنية التي نشبت في عام ١٩٣٤ الى تدهور العلاقات بينهما . وهكذا فني خلال الحرب التي لم يطل بها الأمد نجدتهما تقتصران على مراقبة الموقف وارسال سفنها الحربية الى منطقة الصراع ، مما سهل التوصل الى اتفاق بين العاهلين المتنازعين .

وقد عمدت المؤلفة في هذا الفصل الى تتبع تطور العلاقات بين بريطانيا وإيطاليا منذ أن تعارضت مصالحهما في المنطقة ، فأشارت الى موقف بريطانيا من النزاع بين الإمام والأدارسة ، وخشيتهما ان تشجع إيطاليا الإمام على احتلال جزر فرسان وقمران التي علقت عليها وزارة البحرية البريطانية أهمية قصوى بسبب موقعها الجغرافي قرب السواحل الغربية لشبه الجزيرة العربية ، في الوقت الذي أبدت فيه إيطاليا اهتمامها بهذه الجزر نظرا لقربها من مستعمرة إريتريا . وأخيرا توصل الطرفان الى الاتفاق على ان مصلحتهما المشتركة تفرض عليهما ضرورة اتباع سياسة تهدئة في المنطقة وعدم تدخلهما في أي صراع قد ينشب بين الحكام العرب . كما اتفقتا على تأييد مصالح بريطانيا في جزر فرسان وقمران في مقابل تأييد مصالح إيطاليا في الجزر وفي شواطئ البحر الأحمر العربية .

وفي الفصل الخامس والأخير عرضت المؤلفة للحرب السعودية — اليمنية

التي نشبت في عام ١٩٣٤ . فقد ايقن ابن سعود ان الدوائر اليمنية قد عمدت الى التسوييف والمراوغة حرصا منها على كسب الوقت مما يمكنها من اتمام استعدادات الامام يحيى العسكرية وازعاج الروح القتالية لدى القوات السعودية وارهاق ميزانية ابن سعود بارغامه على تعبئة قواته لفترة طويلة . وبعد ان نفذ صبر ابن سعود اصدر اوامره لقواته بالزحف نحو الحدود ، وفي ٥ ابريل امر ابنه فيصل بالزحف الى داخل تهامة وعسير ، كما امر ابنه سعود بالزحف الى داخل نجران . وركز السعوديون جهودهم في تهامة حيث كان اليمنيون يقاسون الحر الشديد ويخشون القتال في السهل الساحلي الذي كان سكانه غير مخلصين للامام يحيى ، ومن ثم تقهقرت القوات اليمنية الى الجبال تاركة الجيش السعودي يزحف على طول الساحل ويتوغل في اراضي تهامة دون ان يواجه اى مقاومة تذكر . ورغم صعود قوات الامام في البداية الا ان الدافع الاساسي من وراء انسحابها كان مرجعه محاولة الاغلات من تطويق الجيش السعودي لها . وفي خلال الزمـن السعودي ثار سكان الحديدة في وجه القوات اليمنية وطردها من المدينة ونهبوا مستودعات الأسلحة التي اشترهاها الامام لحاربة ابن سعود . وفي ٥ مايو دخل الأمير (الملك فيما بعد) فيصل الحديدة بعد ان استولت القوات السعودية على تهامة اليمن وسيطرت على المناطق التي يسكنها الشرايف فيما بين جنوب الحديدة ومخا ومحمية عدن . وبعد ان اصبح الطريق مفتوحا الى العاصمة اليمنية صنعاء ، وافق الامام على انتهاء الحرب وفق شروط ابن سعود ، خاصة وأنه قد ادرك ان سكان المنطقتين المتنازاع عليهما (عسير ونجران) لا يميلون اليه .

اما شروط عبد العزيز آل سعود لانهاء الحرب — وهي الشروط التي قبلها الامام يحيى — فكانت كالآتي :

— الجلاء عن نجران .

— الانسحاب من الجبال وتسليم الرهائن الذين اخذهم الامام يحيى من القبائل الخاضعة لابن سعود .

— قطع العلاقة بين اليمن وبين هذه القبائل .

— تسليم الحسن الأديسي واعادة الادارسة .

وبعد ان أعلنت الهدنة في ١٣ مايو بدأت المفاوضات بين الطرفين المتحاربين في الطائف تحت اشراف لجنة الوساطة العربية التي تشكلت من ممثلين لمصر وسوريا وبعض الدول العربية الأخرى . وأخيرا تم توقيع معاهدة الطائف (يونيه ١٩٣٤) ثم جلت القوات السعودية عن الأقاليم التي خصصتها المعاهدة لليمن ، وجرى تثبيت الحدود التي نصت عليها المعاهدة . وهكذا انتهت الحرب بضم

نجران للسعودية في حين لم يفقد الامام شيئا من اراضيه الاصلية ، وبذلك تكون الحرب قد سويت نتائجها وفقا لمبدأ « لا غالب ولا مغلوب » ، خاصة وان ابن سعود لم يصر على تنفيذ شروطه كاملة ، فلم يطالب بالتعويض او باحتلال مؤقت للحديدة .

وفي نهاية هذا الفصل عرضت المؤلفه للاهتمام الشعبي والاعلامي الذي اثارته هذه الحرب في الوطن العربي . فقد استنكر الراي العام العربي والاسلامي نشوب هذه الحرب ، وناشد العاهلين ايقامهما حرصا على الوحدة العربية والاسلامية كما عكس موقف الصحافة العربية من الحرب احلاما قومية رددت اماني الوحدة العربية والتضامن الاسلامي للذين عززهما تطور القضية الفلسطينية . ورغم ذلك فقد كان موقف الحكومات العربية سلبيا الى حد كبير خاصة وان كلا منها كانت ترزح تحت السيطرة الغربية التي امتصت جهدها ، وحدث حريتها في الحركة . اما الدول الأوروبية التي كان يعينها الامر — بريطانيا وايطاليا وفرنسا — فقد عمدت الى مراقبة الموقف عن كثب حرصا على مصالحها الاستعمارية ، ولهذا ارسلت كل منها قطعا بحرية الى ميناء الحديدة بعد ان دخلته القوات السعودية . كما طلبت ايطاليا من بريطانيا ان تضغط على الحكومة السعودية لايقاف الحرب في نظير قيامها بالمثل بالنسبة الى الامام يحيى . وحين اسرع العاهلان العربيان بايقاف القتال وعلا على التوصل الى حل للأزمة فانهما بذلك قد فوتا على الدول الأوروبية فرصة التدخل في النزاع ، ومما ادى الى انسحاب السفن الحربية للدول الثلاث من المياه اليمنية .

وبعد ان انتهت المؤلفه دراستها افردت ملاحق لشتى المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين ابن سعود والادارسة ، وبين اليمن وكل من بريطانيا وايطاليا ، وبين السعودية واليمن . وكان من واجبها ان تفرد خريطة مفصلة لجنوب غربي شبه الجزيرة العربية موضحة فيها المواقع والمدن والمناطق الواردة في البحث مما يعين القارئ على تتبع النزاع السعودي — اليمني .

على ان المؤلفه — برغم بعض الاخطاء المطبعية الواردة في الكتاب ، وبرغم عدم توحيد بعض التواريخ الهجرية والميلادية الواردة في البحث — قد صاغت موضوعها بأسلوب لغوي رصين ، ووفقت في ربط اطرافه بعضها ببعض ، وتغلّبت على ما يكتنف سياق الأحداث التاريخية الواردة في البحث من تداخل وتضارب في بعض المواضع . واخيرا فان البحث يضيف جديدا الى حقل الدراسات التاريخية انعرية الحديثة التي نأمل ان تسهم فيها المؤرخة الناشئة بالكثير على ضوء الوثائق البريطانية التي تعكف على دراستها .